

الباب الأول

في

محبة النبي ﷺ

وتعظيم أوامره

obeikandi.com

(أ) وجوب محبة الرسول ﷺ ولزوم الأدب معه

إن الله - ﷻ - افترض على عباده محبة رسوله ﷺ، وسدَّ الطريق إلى جنته إلا من سلك خلف رسول الله ﷺ، وشرح له صدره ووضعه عنه وزره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره.

وقام الصحابة الكرام بلوازم هذه المحبة لرسوله ﷺ، ففدَّوه بأبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، وقتلوا دونه ورفعوا رايته، وأعزوا سُنَّته، ونصروا شريعته، وما فارق النبي ﷺ الدنيا حتى دانت له جزيرة العرب بالإسلام، ورفرف علم التوحيد على أقطارها، وواصل أصحابه الكرام والتابعون لهم بإحسان المسيرة بعده ﷺ، يفتحون البلاد وقلوب العباد بلا إله إلا الله، وظهرت آيات الصدق والمحبة في أصحابه ﷺ، وتابعيهم، فما أحوج المسلمين إلى الوقوف على بعض هذه المواقف الإيمانية التي تشدُّ همهم في التآسي برسول الله ﷺ، والمسارة في اتباع سنته، ولزوم شريعته.

ومحبة الرسول ﷺ عقد من عقود الإيمان، ولزوم سنته واتباع هديه علامة المحبة الصادقة لله - ﷻ - ولرسوله ﷺ، كما أنه من أعظم أسباب محبة الله ﷻ.

قال الحسن البصري: ادَّعى ناسٌ محبة الله ﷻ فابتلاهم بهذه الآية: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الصحابة رضِيَ الله عنهم: إنا نحبُّ ربنا حبًّا شديدًا، فأحب الله - ﷻ - أن يجعل لحبه علامة فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد دلَّت أدلة الكتاب والسنة على وجوب محبة الرسول ﷺ أكثر من محبة الآباء والأبناء والناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ

تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿[التوبة: ٢٤]﴾، ومعلوم أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - لا يتوعد أحداً بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب أو فعل محرم.

قال القاضي عياض: فكفى بهذا حرصاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقها لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إذ قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ ﴿[التوبة: ٢٤]﴾، ثم فسَّقه بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضلَّ ولم يهده الله (١).

وقال العناني: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿[الحزاب: ٦]﴾، فهو أولى بنا من أنفسنا في المحبة ولوازمها.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (٢).

قال القرطبي: كل من آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالخط الأدنى، ومنهم من أخذ منها بالخط الأدنى، كمن كان مستغرقاً في الشهوات محجوباً في الغفلات، في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله والديه، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد خبر ذلك من نفسه وجداناً لا تردد فيه، وقد شوهده من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره، ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما قر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات، والله المستعان (٣).

(١) «الشفاء» (١٨/٢).

(٢) رواه البخاري (١/٧٤، ٧٥) الإيمان، ومسلم (٢/١٥) الإيمان.

(٣) «فتح الباري» (١/٧٧).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»^(١).

قال البيضاوي: وإنما جعلت هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى، وأنه لا مانع ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يبين له مراد ربه، اقتضى ذلك أن يتوجه بكلية نحوه فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأوعده حق يقيناً ويخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العود إلى الكفر إلقاء في النار^(٢).

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا والذي نفسي بيده! حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال له عمر: فإنه الآن والله! لأنت أحب إليّ من نفسي، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الآن يا عمر!»^(٣).

ومحبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على درجتين كما قال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ:

إحداهما: فرض: وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عند الله، وتلقيه بالمحبة، والرضا، والتعظيم، والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه، من تصديقه في كل ما أخبر به، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتفاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

(١) رواه البخاري (٧٧/١) الإيمان، ومسلم (١٣/٢) الإيمان، والترمذي (٩١/١٠) الإيمان.

(٢) «فتح الباري» (٧٨/١).

(٣) رواه البخاري (١٦١/٨) الأيمان والنذور.

والدرجة الثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه ونوافله وتطوعاته وأكله وشربه ولباسه وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة، والاهتمام بمعرفة سيرته، وأيامه، واهتزاز القلب من محبته، وتعظيمه، وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا والاجتزاء باليسير منها، ورغبته في الآخرة^(١).

لزوم الأدب مع رسول الله ﷺ :

فهذه المحبة المتعينة لرسول الله ﷺ تستلزم أدباً معه ﷺ :
فمن ذلك توقيره ﷺ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝۸ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝۹ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝۱۰ ﴾ [الفتح: ٨-٩]، فالتسبيح لله ﷻ، والتعزير والتوقير لرسوله ﷺ .

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝۱۵۷ ﴾ [الأنفال: ١٥٧].

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ التعزير والتوقير:

فقال في التعزير بأنه اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه.

والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه من كل ما يخرج عنه حد الوقار.

ومن الأدب معه ﷺ عدم رفع الصوت فوق صوته ﷺ :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ ۚ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝۲۰ ﴾ [الحجرات: ٢٠].

(١) «استنشاق نعيم الأنس» ص(٣٤-٣٥) ط. مطبعة الإمام.

ومن ذلك عدم التقدم بين يديه:

فلا يقول قبل قوله، ولا يقدم قول غيره على قوله ﷺ كما قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١].

ومن الأدب معه ﷺ عدم جعل دعائه كدعاء الناس بعضهم بعضاً:

كما قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [الشورى: ٦٣].

وفي الآية قولان: أحدهما: لا تجعلوا نداءكم لرسول الله ﷺ كما ينادي بعضهم بعضاً.

الثاني: لا تجعلوا دعاء رسول الله ﷺ لكم، من جنس دعاء بعضكم، إذا شاء أجاب، وإن لم يشأ لم يجب، بل الأدب معه إذا دعاكم إجابته ﷺ.

ومن الأدب معه ﷺ أن أصحابه إذا كانوا معه لم يذهبوا حتى يستأذنه:

كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الشورى: ٦٢].

ومن الأدب معه ﷺ التأدب في الحديث معه:

وذلك باختيار أحسن الألفاظ وأعذبها، وأرق المعاني والطفها، وتجنب ما فيه جفاء أو إساءة أدب.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

ومن الأدب معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثناء عليه بما هو أهله:

ومن أفضل الثناء الصلاة والسلام عليه، قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الاحزاب: ٥٦].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»^(١).

ومن الأدب معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصرة شريعته، وفداؤه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنفس والأموال والأولاد:

قَالَ النَّبِيُّ: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وقَالَ النَّبِيُّ: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وقسم بعض المعاصرين الأدب مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أدب قلبي، وأدب قولي، وأدب عملي.

وذكر في الأدب القلبي: الإيثار بما جاء به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبه.

وفي الأدب القولي: التأدب معه في الخطاب، والصلاة والسلام عليه.

وفي الأدب العملي: طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتباعه والتأدب في مجلسه^(٢).

(ب) وجوب طاعة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتباع سنته

دلت الأدلة المتواترة من الكتاب العزيز، والسنة المشرفة على وجوب طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتزام أوامره، والاهتداء بهديه المبارك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن ذلك قوله وَعَلَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

(١) رواه مسلم (١٢٨/٤) الصلاة، والترمذي (٢٧٠/٢) عارضة الصلاة، وأبو داود (١٥١٦) عون الصلاة.

(٢) انظر: «التأدب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ضوء الكتاب والسنة» لحسن نور حسن (١٢٧) -

ومن ذلك ما رواه أبو موسى جاءه عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا، فَقَالَ: يَا قَوْمُ، إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْنَّجَاءُ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذْجُوا، فَأَنْطَلَقُوا عَلَى مَهْلِهِمْ، فَجَحُوا، وَكَذَّبَتْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ، فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي، فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي، وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»^(١).

وعن المقدم بن معد يكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبَعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَاحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ»^(٢).

وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد تركتكم على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لِكُلِّ عَمَلٍ شَرَّةٌ، وَلِكُلِّ شَرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فِتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ»^(٤).

وعن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب جاءه عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض الكتب قال: فغضب وقال: «أُمْتَهُوْكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَفِيَّةً»^(٥).

(١) رواه البخاري (٢٦٤/١٣) الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسلم (٧٠/١) الفضائل.

(٢) رواه أبو داود (٤٥٨٠/٤) عون، وابن ماجه (١٢) وصححه الألباني.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢٧/١)، وقال الألباني: حديث صحيح رجاله ثقات على ضعف في أبي صالح، ولكن له متابع قوي.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢٨/١)، وأحمد (٢/٢١٠/١٨٨) وابن حبان (١/١٨٧) رقم [١١] الإحسان، وقال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (٢٧/١)، وقال الألباني: حديث حسن، إسناده ثقات غير مجالد وهو ابن سعيد فإنه ضعيف لكن الحديث حسن له طرق.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنتِي فَلَيْسَ مِنِّي»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^(٢). وفي رواية: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». والرد بمعنى المردود؛ أي: فهو باطل لا يعتد به.

آثار عن السلف الصالحين في وجوب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن الحسن البصري قال: السُّنَّةُ والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإنَّ أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكَذَلِكَ إن شاء الله فكونوا.

وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأل عن القَدَر، فكتب:

«أما بعد، أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعدما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك - بإذن الله - عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعةً إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها؛ فإن السنة إنما سنَّها من قد علم ما في خلافها، فأرض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وبيصرو نافذ كفوا، وهم على كشف الأمور كانوا أقوى وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أتمت عليه لقد سبقتهمهم إليه، ولئن قلت: إن ما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم

(١) جزء من حديث رواه البخاري (٨٩/٩، ٩٠) النكاح، ومسلم (١٧٦/٩) النكاح.

(٢) رواه البخاري (٣٠١/٥) الصلح، ومسلم (١٦/١٢) الأفضية.

من مقصر، وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم»^(١).

وقال الزهري: الاعتصام بالسنة نجاة؛ لأن السنة كما قال مالك: مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء.

وعن ابن شوذب قال: إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها.

وعن المعتمر بن سليمان قال: دخلت على أبي وأنا منكسر فقال لي: مالك؟ قلت: مات صديق لي، فقال: مات على السنة؟ قلت: نعم، قال: لا تحزن عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مُستتاً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلی الله علیه وسلم كانوا خير هذه الأمة؛ أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلی الله علیه وسلم ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم.

وقال شريح: إن السنة قد سبقت قياسكم، فاتبع ولا تبتدع، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر.

وقال أبي بن كعب: إن اقتصاداً في سبيل الله وسنة خير من اجتهد في خلاف سبيل الله وسنة.

(١) رواه أبو داود (٤٥٨٨ عون) وقال الألباني: صحيح مقطوع.

وقال شمس الحق أبادي: «فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة» أي: من الضلالة والمهلكات، وعذاب الله تعالى ونقمته، وقوله: «وقد قصر قوم دونهم» أي: قصر دون السلف الصالحين قصرًا أزيد من قصرهم، «فجفوا» أي: لم يلزموا مكانهم الواجب قيامهم فيه، «وطمح عنهم أقوام فغلوا» أي: ارتفع عن السلف أقوام، أي: شددوا حتى جاوزوا فيه الحد، فهؤلاء أفرطوا وأسرفوا في الكشف، كما أن أولئك قد فرطوا وقتروا فيه، «عون المعبود» (٣٧٠ / ١٢).

وقال عبد الله بن المبارك: واعلم أخي أن الموت كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة، فإننا لله وإنّا إليه راجعون، فإلى الله نشكو وحشتنا، وذهاب الإخوان، وقلة الأعوان، وظهور البدع، وإلى الله نشكو عظيم ما حلّ بهذه الأمة من ذهاب العلماء، وأهل السنة، وظهور البدع.

وقال سفيان ليوسف بن أسباط: أي يوسف، إذا بلغك عن رجلٍ بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن رجلٍ بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، فقد قلّ أهل السنة والجماعة.

وعن سفيان قال: لا يُقبل قولٌ إلا بعملٍ، ولا يستقيم قولٌ ولا عملٌ إلا بنية، ولا يستقيم قولٌ وعملٌ ونية إلا بموافقة السنة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم.

وقال الإمام مالك رحمته الله:

وَحَيْرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةً وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبِدَائِعُ

(ج) الدوافع إلى زيادة محبة النبي صلّى الله عليه وسلّم واتباع سنته

لا شك في أن حب النبي صلّى الله عليه وسلّم من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، وكلما ازداد إيمان العبد ازداد حبه لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ولذا كان الصحابة رضي الله عنهم أبرّ الأمة قلوباً، هم أوفر الناس نصيباً من هذه المحبة، فكانت محبتهم له صلّى الله عليه وسلّم أكثر من محبة الآباء والأبناء والزوجات والأموال، وفدوه صلّى الله عليه وسلّم بأبائهم وأبنائهم، وهذه صحابة جليّة قُتل يوم أحد أبوها وأخوها وزوجها فقالت: كيف فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؟ فقيل لها: هو على خير ما تحبين، فقال: دعوني أنظر إليه، فلما رآته قالت: كل مصيبة دونك جلّ يا رسول الله.

ولما عذّب خبيب بن عدي رضي الله عنه قيل له: أتحب أن محمداً مكانك، وأنتك معافٍ في أهلِكَ ومالك؟ فقال: ما أحب أني معافٍ في أهلي ومالي ويُشاك محمد صلّى الله عليه وسلّم بشوكة، أي: وهو أيضاً معافٍ في أهله وماله.

وفي ذلك قيل:

أَسَرْتُ قُرَيْشَ مُسْلِمًا فَمَضَى بِلَا وَجَلٍ إِلَى السَّيَافِ
سَأَلُوهُ هَلْ يُرْضِيكَ أَنَّكَ سَأَلْتُمْ وَلَكَ النَّبِيُّ فِدَىٍّ مِنَ الْإِتْلَافِ؟
فَأَجَابَ: كَلَّا لَا سَلِمْتُ مِنَ الرَّدَى وَيُصَابُ أَنْفُ مُحَمَّدٍ بِرُعَافٍ
ووقاه طلحة بن عبيد الله يوم أحد بيده فشلت يده.

فما هي الدوافع التي تدفع المؤمن إلى الزيادة في محبة النبي ﷺ واتباع سنته؟

١ - زيادة محبة الله ﷻ،

لأن محبة النبي ﷺ من لوازم محبة الله ﷻ، وكلما ازداد حب العبد لله - ﷻ - ، ازداد كذلك حبه لرسوله ﷺ .

وقد ذكر العلماء لمحبة الله - ﷻ - أسباباً:

منها: قراءة القرآن بالتدبر.

ومنها: التقرب إلى الله - ﷻ - بالنوافل، بعد استكمال الفرائض.

ومنها: دوام الذكر بالقلب واللسان.

ومنها: إثارة محبته على محابك عند غلبات الهوى.

ومنها: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومُشاهدتها، وتقلبه في رياض معانيها.

ومنها: مشاهدة براه وإحسانه، ونعمه الباطنة والظاهرة.

ومنها: الخلوة به وقت النزول الإلهي والإذن العام في الثلث الأخير من الليل.

ومنها: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب كلامهم.

ومنها: المباحة عن كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ.

ومنها: انكسار القلب بين يدي الله ﷻ.

فمن هذه الأسباب العشرة، وصل المحبُّون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب.

٢- ومن ذلك معرفة النبي ﷺ، ودراسة شمائله، وشرف نسبه، وكريم خلقه:

وقد كان يكفي من عاصره ﷺ أن ينظر إلى وجهه الكريم فيرى علامات الصدق، وآيات النبوة.

قال حسان:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتُ مُبَيَّنَةٍ كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تَأْتِيكَ بِالْخَبَرِ

فمهما تعرّف المسلم على النبي الكريم ﷺ، فإنه يزداد حبًّا له، وتسلياً لأمره.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الزُّنُور: ٦٩].

فقد كان رسول الله ﷺ أكرم الناس خلقاً، وأوسعهم صدرًا، وأصدقهم لهجة، وأكرمهم عشيرة، وأوفاهم عهدًا، وأوصلهم للرحم، قريبًا من كل برٍّ، بعيدًا عن كل إثم، لا يقول إلا حقًا، ولا يعد إلا صدقًا، جوادًا بما له.

فجدير بمن كان بتلك المنزلة أن تتوجه القلوب لمحبتة، وكلما اطلع الإنسان على جوانب خلقه الكريم ازداد حبًّا له، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم أكمل الأمة حبًّا له لما شاهدوه وعاینوه من أحواله الشريفة، وأخلاقه الكريمة^(١).

ولذا قال الله ﷻ حاثًا عباده على تدبر أحواله الداعية إلى مزيد من محبته والتسليم لأمره ونهيه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِثْلٍ خَفًّى ثُمَّ تُنْفَكُوا مَعَ مَا يَصَاحِبِكُمْ مِنْ حِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سَبَأ: ٤٦].

(١) باختصار من «حبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع» لعبد الرؤوف محمد عثمان (٦٦) ط. مكتبة الضياء.

٣- ومن ذلك دراسة تشریفات النبی ﷺ وما فضله الله به على سائر الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم وسلم أجمعين:

فمن ذلك أنه ساد الكل ﷺ كما في قوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»^(١).

ومن ذلك أن الله - ﷻ - غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كما قال تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [التَّحْيِ: ٢].
ومن ذلك أنه أول شافع وأول مشفع ﷺ.

ومن ذلك أنه صاحب المقام المحمود يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الْإِنشَاء: ٧٩]، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى.

ومن ذلك أن الله تعالى أقسم بحياته، ولم يقسم بحياة أحد من خلقه غيره ﷺ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الْحَجَر: ٧٢].

ومن ذلك أن الله - ﷻ - وقره في ندائه، فناداه بأحب أسمائه وأسمى أوصافه فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [الْمَائِدَة: ٤١]، ونادى الأنبياء بأسمائهم الأعلام.

ومن ذلك أن الله ﷻ أمر الأمة بتوقيره واحترامه، وقد مضى شيء من ذلك في الأدب مع رسول الله ﷺ.

ومن ذلك أن الله - ﷻ - اختصه بمعجزة القرآن المبين، وهي باقية إلى يوم الدين، وله ﷺ كذلك من المعجزات الحسية ما فاق جميع الرسل.

فمن ذلك: حنين الجذع، ونبع الماء بين أصابعه، وتسليم الحجر عليه، وتكثير الطعام بين يديه، وانشقاق القمر له ﷺ.

ومن ذلك أن لكل نبي مثل أجر أمته؛ لأن من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، وأمته ﷺ خير الأمم، وهي نصف أهل الجنة.

ومن ذلك أن الله - ﷻ - حفظ كتابه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وحفظ إجماع أمته فلا تجتمع على ضلالة، وحفظ طائفة من أمته فلا تزال ظاهرة على الحق، ووهبه سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بغير حساب.

٤- ومما يدفع إلى مزيد حبه ﷺ معرفة شفقتة على أمته ورحمته بهم:

كما وصفه الله - ﷻ - بقوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فمن ذلك أنه ﷺ أثر أمته على نفسه بدعوته، ففي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُّسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا» (١).

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿ فَمَنْ تَعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، وقول عيسى عليه السلام: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «أمتي أمتي» ثم بكى، فقال الله تعالى: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» (٢).

ومن ذلك حرصه ﷺ على هداية أمته كما قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَدِيعٌ قَفَسًا إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣].

٥- ومن الدوافع إلى مزيد محبته ﷺ قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله: المقصود من هذه الآية أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملائكة الأعلى، بأنه يشي عليه في الملائكة الأعلى عند الملائكة المقربين،

(١) رواه البخاري (٩٦/١١) «الدعوات»، ومسلم (٧٥/١٣) «الإيمان».

(٢) رواه مسلم (٧٨/٣) «الإيمان».

وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الشاء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي (١).

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» (٢).

وبعد، فهذه جملة الدوافع لمزيد من محبة النبي ﷺ، منها ما هو اعتقادي خبري كمعرفة شرفه وخلقه ونسبه، ومزيد شفقتة وحرصه على هداية أمته، ومنها ما هو علمي عملي وهو السبب الأول والأخير، فالأخذ بالأسباب التي توصل إلى محبة الله ﷻ، وكذا اعتقاد شرفه ﷺ لإخبار الله - ﷻ - بصلاته وصلاة ملائكته وأمره - ﷻ - بالصلاة والتسليم عليه، وكثرة الصلاة عليه وتوقيره ﷺ واتباع سنته ومحبة الداعين إليها والعاملين بها من عوامل محبته ﷺ، فنسأل الله تعالى أن يزيدنا حباً لنبيه ﷺ كما آمنأ به ولم نره، وأن لا يفرق بيننا وبينه حتى يدخلنا مَدْخله.

(د) مواقف إيمانية في محبة النبي ﷺ وتعظيم أمره

١ - موقف علي عليه السلام ونومه في فراش النبي ﷺ ليلة الهجرة المباركة:

قال ابن إسحاق: فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت عليه، قال: فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيشون عليه، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِرِدِي هَذَا الْخَضِرَ فَنَمَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنَامُ فِي بَرْدِهِ هَذَا إِذَا نَامَ.

قال ابن إسحاق: فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال - وهم على بابه -: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٥٠٧) ط. دار المعرفة.

(٢) رواه مسلم (٤/١٢٨) الصلاة، والترمذي (٢/٢٧٠) عارضة الصلاة، وأبو داود (١٥١٦) عون الصلاة.

على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم ناراً تحرقون فيها.

قال: وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: «أنا أقول ذلك أنت أحدهم» وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هؤلاء الآيات: ﴿يَسَّ ۝ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝﴾، إلى قوله: ﴿فَاغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝﴾ [يَسَّ: ١-٩]، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً، قال: خيكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسجياً برذر رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عليه السلام عن الفراش فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا^(١).

فهذا موقف إيماني من حيدرة علي بن أبي طالب عليه السلام، وما أكثر مواقفه الإيمانية، وهو يعلم عليه السلام أن قريشاً تقصد رسول الله ﷺ يريدون أن يفرقوا دمه في القبائل، وقد أثبت الله - عز وجل - مكرهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ۝﴾ [الأنفال: ٣٠]، ولكن النفوس تهون حتى ينجو رسول الله ﷺ، إنه الحب الذي ملأ قلوب الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ، فهانت عند ذلك الأموال والأرواح فرضي الله عنهم أجمعين وجمعنا بهم في عليين.

٢- محمد بن مسلمة رحمته الله وقتله كعب بن الأشرف اليهودي لأنه آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عن جابر بن عبد الله رحمته الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله! أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم»، قال: فأذن لي أن أقول شيئاً، قال: «قل»، فاتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة وإنه قد عَنَّا، وإني قد أتيت أستاذك، قال: وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلَّنَّهُ، قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين - وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر وسقاً أو وسقين - فقال: نعم ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟! قال: فأرهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين؟! هذا عار علينا، ولكننا نرهنك اللأمة، قال سفيان: يعني السلاح، فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة - وهو أخو كعب من الرضاعة - فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة - وقال غير عمرو: ورضيعي أبو نائلة - إن الكريم لو دعي إلى طعنةٍ لبليلاً لأجاب.

قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان: سباهم عمرو؟ قال: سمي بعضهم، قال عمرو: جاء برجلين، وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبر، والحارث بن أوس، وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين، قال: إذا ما جاء فإني قاتل بشعره فأشمه، فإذا رأيتهموني استمكنك من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرة: ثم أشمكم.

فنزل إليه متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب فقال: ما رأيت كالיום ريحاً - أي أطيب - وقال غير عمرو: قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب.

قال عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه^(١).

وقد كان كعب بن الأشرف شاعراً يهودياً، وكان يهجو رسول الله ﷺ، وفي رواية جابر عند الحاكم في الإكليل: «فقد آذانا بشعره، وقوى المشركين» فلما طلب النبي ﷺ له فارساً من الصحابة الكرام فرسان الإسلام، قام إليه محمد بن مسلمة رضي الله عنه، واستأذن النبي ﷺ في أن يعرض عليه بالكلام، وفي المعارض مندوحة عن الكذب، فأخبر كعباً أن رسول الله ﷺ «قد عانا» أي: أتعبنا وبلغ منا الجهد، هي تحتمل ما فهمه كعب من أنهم سوف يملون رسول الله ﷺ، وهي تحتمل أنهم يبذلون في الإسلام ويتحملون المشاق في سبيل الله ﷻ.

وقد روى ابن إسحاق أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم فقال: «انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم» وقد ظهر في قصة قتل كعب توفيق الله - ﷻ - لمحمد بن مسلمة وصاحبيه، وإنما دفع الصحابة الكرام إلى هذه المواقف الإيمانية شدة محبتهم لرسول الله ﷺ، ومبادرتهم لتنفيذ أوامره.

وقال ابن إسحاق: رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المؤمنين حتى آذاهم فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة: «من لي بابن الأشرف؟» فقال له محمد بن مسلمة أخو بني الأشهل: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله، قال: «فاعمل إن قدرت على ذلك»^(٢)، وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق.

(١) رواه البخاري (٣٩١/٧) المغازي، ومسلم (١٦١/١٢) الجهاد والسير، وأبو داود (٢٧٥١) عون الجهاد.

(٢) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/١٤٠).

لله دُرٌّ عصابة لاقيتهم يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم فرحاً كأسد في عرينٍ معرف
حتى أتوكم في محل بلادكم فسقوكم حتفًا ببيضٍ ذف
مستنصرين لنصر دين نبهم مستصغرين لكل أمرٍ مجحف^(١)

٣- موقف أبي بكر وعمر والمقداد وسعد بن معاذ رضي الله عنهم عندما استشار النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام للخروج إلى بدر:

قال ابن إسحاق في قصة الخروج إلى بدر: وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا بغيرهم فاستشار الناس، وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، لكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له به.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشيروا علي أيها الناس» وإنما يريد الأنصار، وذلك أنهم عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله، إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم، فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل»، قال: لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق! لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (١٤٢/٣).

تحلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله.

فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك، ثم قال: «سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين، والله كأي أنظر إلى مصارع القوم»^(١).

وإذا قارنت هذا الموقف الإيماني من الصحابة الكرام وقد لاقوا عدوهم على غير ميعاد، وقول بني إسرائيل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما دعاهم إلى دخول الأرض المقدسة فقالوا: ﴿ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَنذُرُكَ أَنَّا لَنَنَذُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، يظهر لك فضل الصحابة الكرام على أصحاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد قال الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [الأنبياء: ١١٠]. وإن كانت الآية عامة في الأمة، إلا أن الصحابة الكرام هم المشافهون بهذا الخطاب، ولا شك في أن الآية عامة، ولا شك كذلك في أن الصحابة الكرام هم خير هذا الخير، وقد قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نزلت فينا.

وهذه المواقف الإيمانية التي يوفق لها الصحابة الكرام ليس لها مثيل في أجيال الأمة، ولا شك في أن الدافع لها قوة الإيمان ومحبة الرحمن، واتباع شرع النبي ﷺ، وقد فاقت أمة النبي ﷺ سائر الأمم في الأحوال الإيمانية والعلم النافع والعمل الصالح، وفاق الصحابة سائر الأمة، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

٤- موقف الصحابة الكرام وخروجهم إلى حمراء الأسد استجابة لأمر الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمر رسوله ﷺ.

لما عاد النبي ﷺ من أحد وقد قُتل من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سبعين، وجرح من جرح منهم، وأشيع بين الصحابة الكرام أن رسول الله ﷺ قد قتل فأثابهم الله - عَلَيْهِ السَّلَامُ - غمًا بغم، وعاد الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى المدينة بعد أن دفنوا الشهداء الكرام في مصارعهم ونما إلى علم النبي ﷺ أن أبا سفيان بن حرب يفكر في

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ٣٣-٣٤) ط. مكتبة الكليات الأزهرية.

أن يعود إلى المدينة من أجل أن يستأصل شأفة المسلمين ويبيد خضراءهم، فندب النبي ﷺ الصحابة للخروج واشترط أن لا يخرج معه إلا من خرج بالأمس.

فخرج الصحابة ﷺ استجابة لأمر الله - ﷻ - وأمر رسوله ﷺ على ما بهم من جراح، ومن حزن على القتلى تعظيماً لأمر الله - ﷻ - وأمر رسوله ﷺ، وسجل الله - ﷻ - لهم هذا الموقف الإيماني في كتابه الخالد فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٣) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سَوَاءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿[الْعَنْكَرَان: ١٧٢-١٧٣].

قال ابن إسحاق: فلما كان الغد يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال، أذن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، فأذن مؤذنه أن لا يخرج من معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس، فكلمه جابر بن عبد الله بن حرام فقال: يا رسول الله إن أبي كان خلّفي على أخوات لي سبع، وقال: يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلف مع أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج معه، وإنما خرج رسول الله ﷺ مرهباً للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم (١).

٥- استجابة الصحابة الكرام لنداء العباس بأمر رسول الله ﷺ يوم حنين حتى تم للمسلمين النصر؛

عن كثير بن عباس بن عبد المطلب قال: قال عباس: شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد الله المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه، ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ١٧٣-١٧٤).

أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين، فطلق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس! ناد أصحاب الشجرة»^(١)، فقال عباس - وكان رجلاً صيًّا - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب الشجرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك.. يا لبيك، قال: فاقتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ﷺ: «هذا حين حمي الوطيس»، قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال: «انهزموا ورب محمد»، قال: فذهبت أنظر، فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فمازلت أرى حدّهم كليلاً وأمرهم مدبراً...^(٢).

وكانت غزوة حنين مع قبيلة هوازن ومن معها، وكانت بعد فتح مكة وكانوا رماة، وكان بالمسلمين كثرة، فقال بعضهم: لن نهزم اليوم من قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة وقد خرج ناس منهم حُسْرًا، وكانت هوازن رماة فرموهم برشق من نبل، فولى الصحابة مدبرين، فأمر النبي ﷺ العباس أن ينادي على أصحاب الشجرة، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، ثم نادى على الأنصار ثم على بني الحارث بن الخزرج من الأنصار، وهم يسرعون تلبية نداء منادي رسول الله ﷺ، فساق الله - وكل - لهم النصر، وفازوا بغنائم القوم، وانهزمت هوازن وفر بعضهم إلى الطائف وبعضهم إلى نخلة وإلى

(١) أي: أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة بالحديبية وكانوا أربع عشرة مائة، وبيعوا على الموت، وعلم الله ما في قلوبهم من الإيمان والصدق فرضي عنهم، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة».

(٢) رواه مسلم (١٢/١١٣-١١٧) الجهاد والسير.

أوطاس، فرضي الله عن الصحابة الكرام ونفعنا بهذه المواقف الإيمانية في الاستجابة لأمر رسول الله ﷺ .

٦- موقف امرأة من الأنصار خطبها رسول الله ﷺ لرجل يبيىب ﷺ :

عن أنس رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ على جلييب رضي الله عنه امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها، فقال ﷺ: «نعم إذا»، قال: فانطلق الرجل إلى امرأته، فذكر ذلك لها، فأبت أشد الإباء فقالت الجارية، أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان رضيهم لكم فأنكحوه، قال: فكأنها جلت عن أبيها، وقالوا: صدقت، فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه، قال ﷺ: «فإني قد رضيته» قال: فزوجها، ثم ذهب مع النبي ﷺ في غزاة فقتل، ورؤي حوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: فلقد رأيتهما وإنما لمن أنفق بيت في المدينة.

وفي رواية: «فما كان في الأنصار أيّ أنفق منها»^(١).

وقال ابن الأثير: جلييب بضم الجيم على وزن قنديل، وهو أنصاري له ذكر في حديث أبي برزة الأسلمي، في إنكاح رسول الله ﷺ ابنة رجل من الأنصار، وكان قصيراً دميماً، فكان الأنصاري أبا الجارية وامرأته كرها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله ﷺ فتلت قول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٣٦]، وقالت: رضيته وسلمت لما يرضى به رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ وقال: «اللهم اصبب عليها الخير صباً، ولا تجعل عيشها كدّاً»، فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالاً^(٢).

(١) «محاسن التأويل» (١٣/ ٢٦٢) والحديث رواه أحمد.

(٢) «أسد الغابة» لابن الأثير الجزري (١/ ٣٤٨) ط. الشعب، وانظر: «الإصابة» لابن حجر (١/ ٢٥٣).

فهذا موقف إيماني في حب رسول الله ﷺ والتسليم لأمره والرضا به، وبطل هذا الموقف امرأة من الأنصار، رضيت باختيار رسول الله ﷺ، وأنكرت على أبويها عدم الرضا باختياره ﷺ، وقد كان جليبيب قصيراً دميماً، ولكن الله - ﷻ - لا ينظر إلى صور العباد، ولكنه ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم.

وقد كان جليبيب جديراً بهذه الأنصارية صاحبة الموقف الإيماني، فقد ورد له كذلك موقف إيماني في البذل والتضحية، فعن أبي برزة الأسلمي أن رسول الله ﷺ كان في مغزى له، فلما فرغ من القتال قال: «هل تفقدون من أحدٍ؟» قالوا: نفقد والله فلائناً وفلائناً، قال: «لكني أفقد جليبيباً» فوجدوه عند سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فأخبر، فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه»، حتى قالها مرتين أو ثلاثاً، ثم قال بذراعيه فبسطهما فوضع على ذراعي النبي ﷺ حتى حفر له، فما كان له سرير إلا ذراعي رسول الله ﷺ حتى دفن وما ذكر غسلًا^(١).

وكان اللائق بقصة جليبيب المواقف الإيمانية في البذل والتضحية، ولكن آثرنا ذكرها هنا تبعاً لقصة زوجته الأنصارية، حتى يلتئم شمل القصة، والله الموفق للطاعات، والهادي لأعلى الدرجات.

٧- إنفاذ أبي بكر الصديق رضي الله عنه جيش أسامة تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ.

وقد أشار بعض الصحابة منهم عمر رضي الله عنه بعدم إنفاذه لارتداد من ارتد من العرب.

قال ابن كثير رحمته الله: فصل في تنفيذ جيش أسامة بن زيد، الذين كانوا قد أمرهم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تخوم اللقاء من الشام، حيث قُتل زيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة، فغيروا على تلك الأراضي، فخرجوا إلى الجرف، فخيّموا بها، وكان

(١) رواه مسلم [٢٤٧٢] فضائل الصحابة، وقوله: «هذا مني وأنا منه» قال النووي: معناه المبالغة في اتحاد طريقتهم واتفاقهما في طاعة الله تعالى.

بينهم عمر بن الخطاب، ويقال: وأبو بكر الصديق، فاستثناه رسول الله ﷺ منهم للصلاة، فلما ثقل رسول الله ﷺ، أقاموا هنالك، فلما مات عظم الخطب، واشتد الحال، ونجم النفاق بالمدينة، ارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة، وكانت جويثاً من البحرين أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق كما في صحيح البخاري عن ابن عباس، وقد كانت ثقيف بالطائف ثبتوا على الإسلام، ولم يفروا ولا ارتدوا، والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة، لاحتياجه إليه فيما هو أهم، لأن ما جهز بسببه في حال السلامة، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة، وقال: والله لا أحلُّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ، ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهز جيش أسامة، وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلا أربعوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً ويقال: سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غانمين ثم رجعوا فجهزهم حينئذ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة ومانعي الزكاة^(١).

فهذا موقف إيماني من الصديق الأكبر أبو بكر، وكان أعلم الصحابة بمقاصد رسول الله ﷺ، وأكثرهم تعظيماً لأمره، وقد ظن كثير من الصحابة منهم عمر رضي الله عنه أن عدم إنفاذ جيش أسامة إلى شمال الجزيرة هو الأفضل حتى يتفرغوا لقتال المرتدة، ولكن الصديق أبى أن يفك عقدة عقدها رسول الله ﷺ، وكان من بركة تعظيمه لأمر رسول الله ﷺ أن تم ما قصده أبو بكر، وكذا أذهب جيش أسامة قبائل العرب، فعاد كثير منهم إلى الإسلام.

(١) «البداية والنهاية» (٣٤٣/٦) لابن كثير، ط. دار الفكر.

وهكذا التسليم لأمر النبي ﷺ وتعظيم سنته هو البركة والخير للمسلمين، وإن كانت العقول التي تقيس المصالح والمفاسد ترى غير ذلك، حتى صارت مصلحة الدعوة صنماً يعبد من دون الله، فيتهاون الناس في اتباع السنة وتعظيم ما عظمه الشرع، بدعوى مصلحة الدعوة، وأيُّ مصلحة في خلاف سنة رسول الله ﷺ وقد قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٨- تفضيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأسامة بن زيد على ولده عبد الله بن عمر
لحب رسول الله ﷺ لأسامة وأبيه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لما فرض عمر لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وفرض لي ألفين وخمسمائة، فقلت له: يا أبت لم تفرض لأسامة بن زيد ثلاثة آلاف وتفرض لي ألفين وخمسمائة، والله ما شهد أسامة مشهداً غبت عنه، ولا شهد أبوه مشهداً غاب عنه أبي قال: صدقت يا بني ولكنني أشهد لأبوه كان أحب الناس إلى رسول الله ﷺ من أبيك وهو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ منك» (١).

فهذا موقف إيماني من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يظهر فيه شدة محبة الصحابة الكرام لرسول الله ﷺ، وإيثار من هو أحب إلى رسول الله ﷺ.

